

## معايير تصور وإعداد الكتاب المدرسي

عبدالله الويزي  
مفتش تربوي للتعليم الابتدائي  
الحاجب

### تقديم

إن تناول موضوع الكتاب المدرسي يجد مشروعيته في الظرفية الراهنة للنظام التعليمي بالمغرب. ونظرا لأهميته ولارتباطه بمختلف عناصر المنهاج، فإن الكتاب المدرسي ينبغي أن يندرج ضمن القضايا المطروحة في صلب الإصلاحات التي تشهدها المنظومة التربوية.

### 1- تحديد مفهوم الكتاب المدرسي

ماذا نقصد بالكتاب المدرسي ؟

يرى ألان شوبان<sup>1</sup> أن الكتاب المدرسي في عمومته، يحيلنا على كل مؤلف معد لأغراض تعليمية. وهو بذلك موجه لكل التلاميذ ولجميع المستويات والشعب، والى المدرسين كذلك. وفي السياق نفسه، يقيم تمييزا بين المراجع المدرسية وبين الكتب المدرسية ويوضح أن المرجع المدرسي هو «كتاب يعرض المفاهيم الأساسية لمادة معينة لمستوى معين». ويندرج في هذا الصنف دفاتر التمارين والأشغال التطبيقية التي تستجيب لحاجات برنامج تعليمي. أما الكتب المدرسية الأخرى، فهي كل المؤلفات التي لا ترتبط ببرنامج تعليمي، والتي يتم اللجوء إليها في إطار تكميلي كالقواميس والموسوعات... الخ. وسنقتصر على اصطلاح الكتاب المدرسي للدلالة على «المراجع المدرسية» بالمعنى الدقيق.

### 2- طبيعة الكتاب المدرسي وموقعه

يعتبر الكتاب المدرسي من أهم الظواهر السوسيو تربوية التي أفرزتها الأنظمة التربوية الحديثة. فقد اكتسب خلال مراحل تطوره سلطات اختلفت باختلاف أهدافه ووظائفه.

وبالنسبة للنظام التعليمي ببلادنا، وفي ظل الظروف الحالية للمدرسة المغربية، يعتبر الكتاب المدرسي العمود الفقري للمنهاج التربوي، إذ يشكل المصدر الوحيد الذي يعكس مضامين المنهاج التعليمي، ويترجم مستويات البنية التعليمية وتمفصلاتها. لذلك يظل على المستوى التربوي الأداة التي تكتسب أكبر سلطة محركة للفعل التعليمي التلمي.

فلا شك أنه من أهم الوسائط الديداكتيكية وأكثرها استعمالا في جميع مستويات البنية التعليمية، سواء من طرف المدرسين أو التلاميذ أو الآباء.

1- A. CHOPIN, *Manuels scolaires; histoire et actualités*. Pédagogie pour demain. Hachette - Paris, 1992.

على المستوى الاقتصادي، يشكل الكتاب المدرسي المنتج الرئيسي لصناعة وتوزيع الكتاب بالمغرب؛ ويكفي أن نشير إلى أن سوق الكتاب المدرسي تمس على مستوى التعليم المدرسي 26 096 127 مستهلكا لأكثر من نوع واحد من الكتب المدرسية. وإذا أخذنا في الاعتبار ثمن كل نسخة، يتبين حجم النشاط الاقتصادي الذي يروجه الكتاب المدرسي.

واعتبارا للمكانة المركزية التي يحتلها هذا الكتاب المدرسي بين الوسائط الديداجيكية وموقعه في المنظومة التربوية، ونظرا لتأثيره في مسار التمدرس، فإن أمر تصوره وإعداده لا بد وأن ينطلق من تحديد دقيق لأهدافه ووظائفه ويحترم مجموعة من الضوابط والمعايير الموضوعية والعلمية.

### 3- أهداف الكتاب المدرسي ووظائفه

يهدف الكتاب المدرسي إلى :

- أن يكون أداة تساهم، إلى جانب عناصر أخرى، في تحقيق جودة التربية والتكوين ؛
  - أن يرمي إلى تنمية كفايات التعلم الذاتي المستديم ؛
  - أن يعمل على تعزيز التمكن من الكفايات الأساسية ؛
  - أن يساهم في تنمية مختلف جوانب الذكاء لدى المتعلم ؛
  - أن يساهم في تحقيق التفاعل بين التعلّمات وبين محيطها السوسيوثقافي والاقتصادي ؛
- أما وظائف الكتاب المدرسي، فيمكن إجمالها في ما يلي :
- وظيفة تربوية تتمثل في تنظيم أنشطة التعليم والتعلم وفق مقاربات منهجية تحقق أهداف المنهاج في أقل وقت وبأقل جهد ممكنين ؛
  - وظيفة اجتماعية تتمثل في كونه يلعب دور الموازن<sup>3</sup> «Agent d'équilibre» بين الثقافة المدرسية والثقافة الاجتماعية، ويرسخ الثقافات والقيم التي يعانقها المجتمع ؛
  - وظيفة سوسيوثقافية تتجلى في كونه يؤدي دور الحامل والمروج للقيم والمعايير الثقافية الأصيلة التي تحقق روح المواطنة لدى المتعلم من جهة، ودور النافذة التي يطل من خلالها هذا الأخير على العالم الخارجي من جهة ثانية.

### 4- المعايير الضابطة لتصوير وإعداد الكتاب المدرسي

انسجاما مع هذه الأهداف وتلك الوظائف، واعتبارا لكون الوضعية المأمولة للكتاب المدرسي في بلادنا، بما تتطلبه من شروط للجودة والتلاؤم لا تتحقق إلا من خلال تصور الكتاب المدرسي على أساس أنه مشروع علمي وتربوي، يستلزم مراعاة جملة من المعايير الموضوعية نصنفها في ثلاثة مستويات: تربوي وديداكتيكي وتقني.

2- وزارة التربية الوطنية، موجز إحصائيات التربية (2008 - 2009)، الإصدار الرقمي، ص : 12.  
3- وثيقة وزارة التربية الوطنية، الملقى التربوي حول الدراسة الخاصة بالكتاب المدرسي، أكاديمية سطات، 30 أبريل 2001.

#### 1.4- المستوى التربوي

يتضمن المستوى التربوي المعايير التالية :

- معيار الملاءمة مع المنهاج : ينطلق تصور الكتاب المدرسي من فلسفة تربوية واضحة المعالم، استنادا إلى منهاج يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الوطنية والحضارية، ويعتبر العلاقة النسقية التي تربط الكتاب المدرسي بباقي مكونات المنهاج، عاملا محمدا لاختيار مضامينه وطرق اشتغاله.
- معيار الملاءمة السوسيوثقافية : ويقتضي أن يعكس الكتاب المدرسي القيم الثقافية الوطنية والحضارية للمجتمع دون إغفال الخصوصيات الجهوية والمحلية في أفق ترسيخ الهوية الثقافية المجتمعية. من جهة أخرى، يفترض أن يراعي مستوى تطور المجتمع ويساهم في تقريبه للمتعلم، وذلك من خلال إدراج قضايا وإشكالات ثقافية جديدة ومعاصرة (ثقافة حقوق الإنسان، التنمية، الديمقراطية، البيئة...).
- معيار الملاءمة السيكلوجية : ويركز هذا المعيار على مراعاة خصوصيات الفئة المستهدفة، باعتبار أن كل الأنشطة المقدمة ممرضة حول شخص المتعلم. كما يعني هذا التلاؤم اعتماد طرائق تأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية، والتركيز على أنشطة تفاعلية تمكن المتعلم من المساهمة في بناء الكفايات وتوظيف مكتسباته منها في وضعيات جديدة.
- معيار الملاءمة البيداغوجية : يتعلق الأمر هنا بالمقاربات البيداغوجية المعتمدة في عملية التعليم والتعلم، كأن يعتمد الكتاب المدرسي على مقتضيات بيداغوجيا الإدماج مثلا. ومن زاوية ثانية، من الضروري استناد هذه المقاربات إلى النشاط الذاتي للمتعلم من خلال إعطاء الأولوية للوضعيات التي تستثمر الصراع السوسيو معرفي « Le conflit sociocognitif »<sup>4</sup> لدى المتعلم بين مكتسباته وبين المشكلات الجديدة التي يسعى إلى معالجتها.

#### 2.4- المستوى اليداكتيكي

يشمل هذا المستوى المعايير التالية :

- معيار تنظيم المحتوى على أساس ديداكتيكي : لا يمكن تصور عمل تعليمي منفصل عن المحتويات المعرفية التي تعتبر مادة اشتغاله. وعليه، فإن هذا المعيار يركز على تحديد نوع المعارف وتبيان طبيعتها. وفي هذا الصدد يمكن التمييز بين :
  - معارف تكتسب لذاتها (Savoir) :
  - معارف تكتسب من أجل توظيفها (Savoir-faire) :
  - معارف تعتبر كأدوات لتنمية مؤهلات التوافق لدى المتعلم (Savoir-être) :

4- وثيقة وزارة التربية، مرجع سابق - الخلاصات العامة، ص : 5.

من ناحية ثانية، يركز هذا المعيار على النقل الديدائكتيكي للمعارف، بمعنى الانتقال من مستوى المعرفة العالمية بمفاهيمها ومنطقها الداخلي إلى مستوى المعرفة المدرسية التي يتحدد فيها القدر المراد تقديمه من هذه المعرفة وكيفية مقاربتة، مع عدم السقوط في الاختزال المشوه للمعارف عند تبسيطها.

على المشتغل بإعداد الكتاب المدرسي الأخذ بعين الاعتبار هذه المرتكزات الديدائكتيكية أثناء تنظيمه لمحتويات ومضامين المرجع الذي يشتغل عليه.

- معيار الملاءمة الأكاديمية للمحتويات : يطرح هذا المعيار في الوقت الراهن بشكل أكثر إلحاحا مما مضى. فهو يقتضي من الساهرين على إعداد الكتب المدرسية أن يتوخوا الدقة والمصادقية في المعارف المقترحة، ويستلزم تحيين المعارف كلما اقتضى الأمر ذلك، كما يفرض طرح المعرفة العلمية بشكل موضوعي تفاديا للإسقاطات الإيديولوجية من طرف المدرس الذي سيقوم بتمريرها.
- معيار المقاربة الفارقية : والمقصود به اعتماد مدخلات وأنشطة متعددة ومتنوعة تسمح بمسارات فارقية تناسب القدرات المتفاوتة لتلاميذ القسم الواحد، وتمكن في النهاية من حصول التعلم لدى الجميع ؛ بدل تقديم مسار واحد يؤدي إلى تنميط تفكير التلاميذ فيقبر إمكانيات المتفوقين ويقيد الضعفاء منهم بمسار قد لا يستطيعون استيعابه ومسايرته.
- معيار التحكم في أدوات التعلم الذاتي : ويفترض هذا المعيار أن الكتاب المدرسي لا يستطيع تقديم كل المعارف المرتبطة بموضوع واحد، ومن ثم يجب على واضعيه أن يقدموا مفاتيح منهجية تسمح للمتعلم باكتساب كفايات تدبير تكوينه الذاتي خارج الكتاب المدرسي.
- معيار الملاءمة اللسانية والتواصلية : تم تصنيف هذا المعيار في المستوى الديدائكتيكي بدل المستوى التربوي نظرا لما للغة الخطاب من أثر في تقديم المادة المعرفية، وبيان منطقتها ودورها في تيسير أو تعقيد تعلم المادة (مثال الرياضيات). يقتضي هذا المعيار اختيار مستوى الخطاب الذي سيؤطر المادة المعرفية، وآليات التواصل التي ستساعد المتعلم على استيعاب المادة المعرفية المراد بناؤها. وخير مثال على هذا المعيار ما نجده في تقديم المفاهيم الرياضية ؛ فالخطاب الذي يقدم المفهوم والتعليمات التي ترافق الأنشطة الرياضية قد تعقد استيعاب المفهوم وتجعل المتعلم حبيس الفهم اللغوي قبل أن ينتقل إلى الفهم الرياضي المراد التعامل معه.

#### 3.4- المستوى الشكلي والتقني :

يتضمن هذا المستوى المواصفات الشكلية العامة التي تسمح باستغلال الكتاب المدرسي على أفضل وجه، والجوانب التقنية والفنية المتدخلة في إنتاجه المادي :

### أ- المواصفات الشكلية العامة<sup>5</sup>

- تنظيم وتهيئة فضاء الكتاب المدرسي ليصبح أكثر جاذبية وتحفيزا للمتعلم ؛
- وضع منهجية مبسطة لاستثمار الكتاب المدرسي بشكل واضح وسليم في إطار تعاقد بيداغوجي يحدد ما سيقدمه الكتاب المدرسي وما ينبغي على التلميذ إعداده لاستيعاب المضامين ؛
- وضع جدول إجمالي يقدم الكفايات المستهدفة والمحتويات الموضوعاتية والمكونات والأنشطة المرتبطة لضمان المحافظة على سمة الشمولية وعلاقة التكامل بين مختلف مكونات المنهاج ؛
- وضع دليل للمفاهيم والمصطلحات الأساسية بلغتين ؛
- إدراج المراجع البيبليوغرافية للمحتويات قصد تعويد المتعلم على التوثيق والنزاهة الفكرية.

### ب - الجوانب التقنية والفنية

ويتعلق الأمر بالتقديم المادي للكتاب المدرسي :

- صفحة الغلاف : بطاقة هوية الكتاب (العنوان - المادة - المؤلفون - المستهدفون - سنة الطبع، مصادقة وزارة التربية الوطنية) ؛
- جمالية الكتاب : نوع الورق، حجم الكتاب، الألوان التي تم توظيفها ؛
- الحروف المطبعية : حجمها، وينبغي أن تراعي المقاييس المتعارف عليها علميا ؛
- الصور والرسوم والمبيانات : أن تكون خالية من أية إشارة أو علامة من شأنها أن تمس بالمقدسات الوطنية والدينية والثقافية ، وخالية من الإشهار المقصود أو غير المقصود ؛
- كتلة الكتاب المدرسي، وملاءمته مع البنية الجسدية للمتعلم ؛
- شروط إدارية وتنظيمية، تتعلق بالثمن والمنافسة الشريفة ؛

تلکم كانت بعض المعايير الواجب الالتزام بها في إعداد الكتاب المدرسي، وقد أقرتها الأدبيات التربوية على المستوى الدولي وخلصت إليها اللجان المختلفة التي اشتغلت على إعداد تصور الوضعية المأمولة للكتاب المدرسي المغربي. نأمل أن تتحقق كل هذه المعايير أو جلها في الكتب المدرسية المقبلة لتتجاوز النقائص التي تكتنف المجهودات التي بدلت في التجارب السابقة.

5- وزارة التربية الوطنية، وثيقة الملتقى الوطني حول الكتاب المدرسي، دجنبر 2001، ص : 22 - 33.

## قائمة المراجع المعتمدة

- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يناير 2000.
- Alain CHOPIN, *Manuels scolaires ; histoire et actualité* pédagogie pour demain, Hachette, 1992.
- François RICHAUDEAU, *Conception et production des manuels scolaires, Guide pratique*-UNESCO, 1979.
- *Actes du séminaire sur l'évaluation des manuels scolaires*, MEN, 1999.
- استراتيجية تطوير التربية العربية، منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1979.
- ندوات حول تقويم الكتاب المدرسي، وزارة التربية الوطنية - مديرية تقويم النظام التربوي، 1999.
- أعمال الملتقى التربوي حول الدراسة الخاصة بالكتاب المدرسي - تقديم النتائج، سطات - أبريل، 2001.
- دفتر التحملات الإطار الخاص بالكتاب المدرسي - الصيغة المؤقتة، غشت، 2001.
- دفتر التحملات الإطار الخاص بالكتاب المدرسي - الصيغة النهائية، دجنبر، 2001.